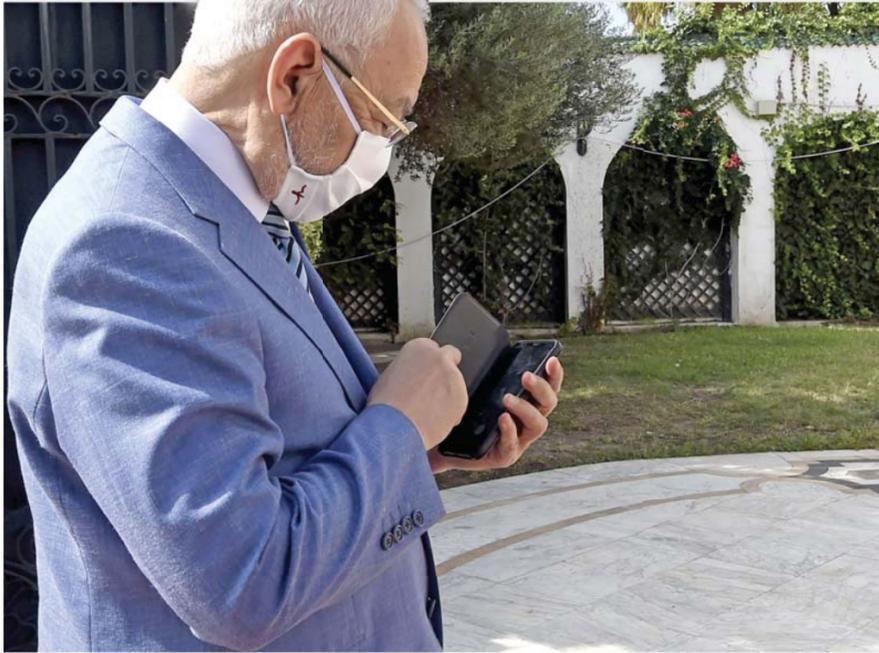


الغنوشي.. متى تنتهي فزاعة بن علي؟



بالمخزيين وقطاع الطرق. وإذا استمر هذا الوعي القاصر، فإن ثورة جديدة في الأفق ستكون أعنف وأكثر راديكالية في مواجهة هذه الطبقة السياسية العاجزة. ومن المهم الإشارة إلى أن محاولة توظيف الاحتجاجات من بعض مجموعات المعارضة لا يغير في الأمر شيئاً، فالنهضة نفسها كانت تستفيد من الغضب الشعبي لاكتساب "شرعية" الحزب المعارض، وبالتالي فإن التعاطي مع الاحتجاجات على أنها رسالة سياسية من اليسار أو من تنسيقيات الرئيس قيس سعيد سيؤدي من عمق الأزمة ويوسعها بدل البحث عن أرضية واسعة للحوار من أجل تطويق الأزمة، وليس أفضل من مبادرة اتحاد الشغل لإقناع ما يمكن إنقاذه شريطة ألا يكون اللجوء إليها محاولة لربح الوقت.

لديهم، وبالتالي فلا داعي من الغنوشي للمناورة والعودة إلى الماضي لتبرئة النفس. ومن الخطأ الإصرار على اعتبار هذه المظاهرات مجرد قوس عابر مرتبط بالصراع بين السياسيين وفق نظرية المؤامرة، لأن الأمر أعمق وهو مؤثر واضح على فشل منظومة الحكم الحالية في تقديم بدائل تتماشى مع حجم التناؤل الذي حملته الثورة في بدايتها ببناء تجربة حكم تقوم على الديمقراطية ومكافحة الفساد وتكافؤ الفرص. ما أشبه اليوم بالبارحة. لقد لعبت حركة النهضة، كحزب حاكم، الدور الذي لعبه التجمع الدستوري الحاكم في عهد بن علي، حين اعتبرت أن الاحتجاجات الشعبية مؤامرة ووصفت الشباب الغاضب

على الشباب ولا يقنعهم بالصمت، ولا يعينهم أصلاً. الشباب الذين تظاهروا بالمئات في مناطق مختلفة ورفعوا شعارات ذات عمق اجتماعي ليسوا هم الشباب الذين كانت المعارضة تغويهم براديكاليتهما وتسيبياتهما حول السلطة وأخبارها السرية وفساد العائلات الحاكمة.. أو تستقطبهم الحركة الإسلامية من خلال حملات التخويف من استهداف الدين والتضييق على ممارسة الصلاة وارتداء الحجاب. هم شباب من جيل مغاير مكنتهم الثورة الإعلامية والاتصالية من معرفة كل شيء، وهم لا يحتاجون إلى شحن طبقي ولا عقائدي ولا قومي ليفتحوا أعينهم على الحقيقة، ولا إلى البيانات السرية كي يغضبوا من منظومة الحكم. كل شيء واضح

والفوضى لن يبرئ ساحة الطبقة السياسية الحاكمة، لأن ما يجري هو نتيجة طبيعية للفشل في بناء منظومة تعليمية وتربوية جديدة وترتكها للمجهول، فما الذي يمكن أن يفعله شاب تربى وهو طفل صغير على صراع الديكة اليومي في البرلمان وعلى الفضائيات، وظل يسمع خطاباً يقوم على الكراهية واحتقار الآخر. إن مظاهر التخريب والعنف والسطو التي طالت ممتلكات عامة وخاصة من شباب أغلبهم تحت سن العشرين هي إداة للثورة وثقافتها وتعليمها، وهو التعليم الذي دفع بأكثر من مليون تلميذ إلى الخروج منه دون شهادات علمية ولا دبلومات صناع، وإداة لفشلها وعجزها عن توفير مواطن العمل.

ما عاد للغنوشي أو غيره من الطبقة السياسية مجال للتصلص من المسؤولية وتعليقها على الماضي أو على المجهول. عليهم جميعاً أن يغادروا مربع المعارضة الذي استمرؤوه لعقود، وكان دورهم فيه سهلاً ومريحاً، إذ يكفون بمجرد إصدار بيانات الإدانة التي تحمّل النظام السابق مسؤولية الفشل.

وإذا كانت النهضة قد استمرت هذا الدور، وكانت تتلقظ أخبار الاحتجاجات لتقول للناس إن النظام عاجز عن حل مشاكلهم، فلماذا تمنع عن المعارضة الحالية لعب نفس الدور، أي إصدار بيانات الإدانة والإشارة إلى عجز السلطة، التي هي في قلبها، عن خدمة الناس؟ أم أنها تريد أن تلعب في نفس الوقت دور النظام الحاكم ودور المعارضة الغاضبة التي تصدر بيانات تحمّل المسؤولية للمجهول. وأيا كانت مبررات تبرئة النفس، فإن احتجاجات الأيام الأخيرة ورسائل العنف التي حملتها في بعض مراحلها، هي إشارة قوية إلى أن خطاب الثورة المليء بالغرور والتعالي والأحقية بامتلاك السلطة، والذي يفسر العجز دائماً بنظرية المؤامرة، واتهام "أطراف خفية" لا يعد ينطلي

ما يهّمها فقط هو السيطرة السياسية على الدولة والإسكاف بالمواقع الحساسة.

وهذه هي الحقيقة. النهضة لم تقدّم أي مبادرة لإصلاح التعليم، ولا لإصلاح الوضع الاجتماعي أو الاقتصادي. كل ما كانت تفعله خلال عشر سنوات هو بناء تحالفات الحكم مع الكتل الضعيفة، والمجموعات التي ترشحت لاعتبارات مصلحة أو عشائرية أو مناطقية.

الشباب الذين تظاهروا بالليل والنهار ورفعوا شعارات إسقاط النظام، هم شباب فتحوا أعينهم على الثورة وصراعاتها وواقفون تحت تأثير حالة اليأس التي أنتجت سياسات النهضة كحزب حاكم خلال عشر سنوات

والنتيجة أن الثورة تحولت إلى لعبة سياسية شبيهة بالعملية السياسية التي يعيشها العراق منذ 2003.. صراع سياسي يغطي على فساد وأجندات الخارج. وما يثير الاستغراب أن النهضة، وأساساً الغنوشي لا يزال يلجأ إلى فزاعة بن علي لتبرئة نفسه وتبرير سياسة الهروب إلى الأمام في التعامل مع القضايا الاجتماعية. فالشباب الذين تظاهروا بالليل والنهار وبعضهم رفعوا شعارات إسقاط النظام، والبعض الآخر كانوا يطالبون فقط بالخبز ويصرخون بانهم مهددون بالجويع هم شباب فتحوا أعينهم على الثورة وصراعاتها، وواقفون تحت تأثير حالة اليأس التي أنتجت سياسات النهضة كحزب حاكم. اتهام الشباب بالتخريب وإحداث

مختار الدبابي
كاتب وصحافي تونسي

نجح تكتيك راشد الغنوشي ككل مرة في تمرير الحكومات وبقاء النهضة في قلب السلطة. سببى هذا نصراً ثانوياً وهامشياً يمكن أن يُسكت به غضب معارضيه في حركة النهضة، لكنه لا يقدر أن يغطي به حقيقة أن حكومات الثورة التي حكمتها النهضة، سرّاً وعلناً، قد فشلت في تحقيق شعارات الثورة، وما أكثرها وأعماها. إلى الآن، وككل مرة، يلجأ الغنوشي إلى اتهام النظام السابق بتحمّل مسؤولية هذا الفشل، وأخرها اتهام المنظومة التعليمية والاجتماعية بأنها وراء الأزمة التي تعيشها البلاد. وقال الغنوشي في كلمة بالبرلمان إن "هذه الأوضاع دفعت العديد من الفئات وداخل أغلب الجهات إلى التعبير عن هذه الآلام والأوجاع وكان الشباب، ومنهم صغار السن، في مقدمة هذه الاحتجاجات"، مشدداً على ضرورة "الوقوف إلى جانب هؤلاء الأطفال والشباب الذين هم ضحايا فشل المنظومة التعليمية والاجتماعية".

السؤال هنا أي منظومة؟ الثورة مرت عليها الآن عشر سنوات، والشباب الذين يتظاهرون الآن أغلبهم تحت العشرين سنة، وهم نتاج مباشر لمنظومة التعليم التي أدارتها الثورة. وهذا يعني أن هناك افتراضين في كلام الغنوشي. الأول أن الرجل لا يزال يعتبر نفسه في المعارضة مع أنه رئيس البرلمان وزعيم الحزب ذو الأكثرية البرلمانية، والذي فوّضه الشعب منذ 2011 ليحكم، لكنه يرفض أن يحكم ويتحمل مسؤوليته في إدارة الدولة، ويفضل أن يحكم من وراء ستار حتى يحسب فشله على غياب الاستمرار. أما الثاني، فهو الاعتراف بأن النهضة لم تنسج على تغيير منظومة التعليم وتركتها للفوضى، لأنها لا تمتلك بدائل ولا أفكار ولا برامج، وأن

في تونس ضيع الشعب عمره في انتظار التغيير

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة يعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

ولكن تلك الجرائم ما كان من الممكن أن تقع لولا الفوضى السياسية التي دخلت فيها الدولة وهي لا تميز بين الوجه واللقفا، بين الخطأ والصواب، وبين الحقيقة والوهم. لقد كانت هناك دائرة تدور بأجهزة الحكم بعيداً عن وظيفتها الخدمية بحيث كانت كل المشاريع التي تقدم في مجلس النواب لا تتعلق بحياة الناس العاديين بل تعبر عن الصراع بين الكتل السياسية.

كان شعار حركة النهضة "إن خُربت من الحكم المباشر فلا أحد يحكم بدلا عني" ونجحت في تنفيذ ذلك الشعار على أرض الواقع، كل الحكومات التي كان رؤساؤها غير محسوبين على حركة النهضة أقامت في غرف الإنعاش إلى أن رحلت، وإذا ما كان الشعب التونسي لا يرغب في رئيس حكومة نهضوي فعليه أن يذهب إلى غرفة إنعاش. ذلك هو الواقع الذي انتهى إليه التونسيون الذين خدعوا أنفسهم باستمرار الثورة بالرغم من أن هناك عشرة سنوات قد سُرقَت من حياتهم وُثِرَت معها الكثير من المواهب والثروات والأحلام والمشاريع الوطنية.

ما يحدث اليوم في تونس من حراك سياسي إنما تجسيد لآلية التي اخترعتها حركة النهضة. دوران في الهواء، الإيجابي فيها أن يتم التوافق بين قوى، الأكثر نزاهة من بينها يفكر في أن تتخلص الحكومة من الفاسدين. أما الشعب المحتج على تردي أوضاعه الاقتصادية، الشعب الذي صار يقارن بين ما هو عليه اليوم وبين ما كان عليه زمن بن علي بحسرة فإنه يقف خارج قوسي الصراع الراهن. لقد تم تدمير تونس من خلال عزل الدولة عن الشعب وذلك من خلال ربط الحكومة باليات عمل سياسية تفصلها عن وظائفها الخدمية. فما من مشاريع يمكن للحكومة إنجازها يعود نفعها على الشعب. دورة عديمة لأمنيات شعب ضائع.

ذلك هو الواقع الذي انتهى إليه التونسيون الذين خدعوا أنفسهم باستمرار الثورة بالرغم من أن هناك عشرة سنوات قد سُرقَت من حياتهم وُثِرَت معها الكثير من المواهب والثروات والأحلام والمشاريع الوطنية

ذلك صحيح. غير أن الصحيح أيضا أنها نجحت في المقابل في صنع آلية عمل للحياة السياسية لن تتخطى حدودها. تلك آلية مغلقة على نفسها ولا علاقة لها بالأفكار اليسارية المنتمدة التي انطوى عليها الحراك الشعبي الذي هو أساس الثورة التي سلمت قيادتها لقوى لا تعرف عنها شيئاً.

يمكنني القول هنا إن فشل اليسار التونسي كان تمهيدا لفشل تونس في أن تحافظ على روحها التي كانت تحتمل. تلك الروح التي لا يمكن إحيائها إلا من خلال العودة إلى أفكار التنويريين التونسيين الذي تنبؤهم حركة النهضة وتعتبرهم كفارا. فشلت تونس يومها ونجحت حركة النهضة. ذلك ما نجم عن تراجع قوى اليسار التي خشيت أن يقود الصراع بينها وبين التيارات الدينية إلى حرب أهلية، تونس وهي بلد صغير في غنى عنها. ولكنها بمقاييس اليوم تقديرات خاطئة. فتونس لم تعد تونس بعد عشر سنوات من الثورة. لقد هجرها السياح قبل أن يضرب كورونا العالم بسبب عمليات القتل المجاني التي غلقت بشعارات دينية. وكان ذلك أحد الأسباب الرئيسية للانهايار الاقتصادي الذي خسف بها الأرض.

السياسية مضطرا. وكانت تقديراته صائبة غير أنها أدت في ما بعد إلى نتائج كارثية. فما حدث بعد ذلك أن حركة النهضة الإسلامية، التي استحوذت على السلطة تاركة بعض الفراغات لعدد من الأحزاب التي لا تمكث تاريخاً في الحياة السياسية، قد سارعت إلى وضع مشروعها السياسي بصيغته الدينية قيد التنفيذ بحيث أنها لم تخف رغبتها في مراجعة كل القوانين التي خلقت مجتمعاً مدنياً في تونس منذ استقلالها.

سيفال إن حركة النهضة بالرغم مما بذلته من جهود فشلت في مواجهة المجتمع المدني وإقرار قوانينها الجديدة.



فاروق يوسف
كاتب عراقي

دور ملعن في تنظيم وقيادة الحراك الشعبي، كانت الجهات التي نفذت تلك الاعتقالات معروفة غير أن أحدا لم يجرؤ في حينها على الإفصاح عنها علنا بسبب التزام تلك الجهات بأسلوب العنف نهجاً لها في التعامل مع خصومها السياسيين.

كانت هناك هستيريا أدت بتونس إلى أن تتقف على حدود الحرب الأهلية. وكانت الغزوات التي قامت بها جماعات دينية خارجة على القانون قد أوحت بأن نشوب تلك الحرب أمر ممكن. لقد انسحب اليسار يومها من الحياة

ما أن أعلن اليسار التونسي عن فشله في الإسكاف بعضا الثورة حتى بدا واضحا أن صفحة الثورة قد طويت بعد أن استلمت السلطة قوى وأحزاب لم تكن ذات صلة مباشرة بالحراك الشعبي الذي سبق سقوط نظام زين العابدين بن علي. ولكن ما الذي دفع اليسار إلى التخلي عن الثورة بحيث بدت ثورة ناقصة؟

يمكن سر ذلك في الاعتقالات التي راح ضحيتها عدد من الرموز اليسارية التي كان لها